مجلة الجزيرة للعلوم التربوية والإنسانية
الرقم الدولي: ISSN Linking: 1858-8743
http://journals.uofg.edu.sd/index.php/gjehs/

محاسبة الأمير الزاكي طمل للعصاة في بني شنقول
(دراسة تاريخية في أزمات الدولة المهدية الداخلية)

د. فتح الرحمن محمد الأمين العراقي

أ مساعد – كلية الآداب– قسم التاريخ –جامعة الجزيرة

المعلومات

تاريخ إرسال الورقة:
13/10/2021

تاريخ قبول الورقة:
25/11/2021

تاريخ نشر الورقة:
19/5/2022

الملخص

إنّ موضوع معارضة الأهالي لحكم خليفة المهدي عبدالله التعايشي في منطقة جبال بني شنقول كان حدثاً سياسياً كبيراً؛ وذلك لكونه تمرداً ضد سلطة الدولة المركزية والإقليمية خلال فترة حكم الخليفة عبد الله خليفة المهدي في عام 1307 هجرية/ 1885م الميلادي، وقد واجه عامل الدولة في رباط القلابات الأمير الزاكي طمل هذه الثورة بالحزم والبطش مستخدماً الحل العسكري والأمني بدلاً من الاستماع لمطالب المحتجين أو دراسة أسباب اندلاعها، ويكتسب هذا الموضوع أهميته بوصفه موضوعاً جديداً من تاريخ الدولة المهدية في السودان لم يتعرض له الباحثون في دراساتهم السابقة، وجزءً من تاريخ حركات المقاومة المحلية لحكومة الخليفة عبدالله التعايشي. ولهذا يهدف هذا البحث إلى توضيح ملامح وطبيعة الثورة المحلية في مناطق بني شنقول، وكذلك نهدف من خلاله التوثيق للقبائل والمجموعات والأفراد الذين قادوا الثورة ضد الدولة المهدية خلال عهد خليفة المهدي عبد الله بن محمد السيد، وأخيراً نأمل من خلال هذه البحث أن نوضح دور الدولة المهدية وسلطتها الإقليمية المتمثلة في قيادة الأمير الزاكي طمل لرباط القلابات الذي وقع عليه عبء قمع الثورة ومحاسبة العصاة في منطقة جبال بني شنقول.

وتأسيساً على ذلك سنحاول الإجابة عن سؤال رئيس، هو: ما ملامح وطبيعة المعارضة المحلية في مناطق بني شنقول ضد حكم الدولة المهدية؟ وكيف قضى عليها الأمير الزاكي طمل بوصفها تمرداً داخلياً في تخوم عمالته في رباط القلابات؟ اعتمد الباحث في إنجاز هذه الدراسة على المصادر الأولية التي تتمثل في الوثائق التاريخية، ومن بينها خطاب تم تحريره من قبل الزاكي طمل وأرسله إلى خليفة المهدي عبدالله التعايشي، حيث شرح في هذا الخطاب أسباب الثورة في منطقة بني شنقول ودوافعها ومجرياتها، وغيرها من الوثائق التاريخية الأخرى، وكذلك اعتمد الباحث على بعض المراجع الثانوية. واستخدم في هذه الدراسة المنهج التاريخي الوصفي السردي، بقصد سرد الأحداث التاريخية المتسلسلة ووصفها في تلك الفترة الزمانية.

الكلمات المفتاحية محاسبة، الزاكي طمل، العصاة، بني شنقول

مقدمـــــــــة:

استعرض الباحث في هذه الدراسة أزمة من الأزمات والمشكلات الداخلية التي واجهتها الدولة المهدية في منطقة بني شنقول التابعة لرباط القلابات، وهي لا تختلف عن المشكلات التى واجهتها الدولة المهدية في مناطق أخرى من حدود دولتها، حيث واجه حكم الخليفة عبد الله خليفة الإمام المهدي معارضة كبيرة منذ بداية حكمه، بداية من ثورة الأشراف التي تطورت لاحقاً إلى صراع بين أولاد البلد ومجمل أولاد الغرب، حيث وجد الأشراف أنفسهم في وضعية لا يحسدون عليها بعد أن اعتمد الخليفة على تنصيب أهله فيما يخص الحكم والإدارة؛ حيث كان ذلك بمثابة إيقاظ للولاءات القبلية والفوارق، وأخذت كل قبيلة تبحث عن مكان لها في ظل الدولة الناشئة، ولم تكن ثورات الأشراف هي الوحيدة التى واجهت حكم خليفة المهدي، فقد تمرد مادبو زعيم الرزيقات وتبعه في عصيانه خلق كثير من الرزيقات والهبانية والمعاليا، وكذلك ثار يوسف ابن السلطان إبراهيم ثورة عنيفة في شمال دارفور ووجد من يشد أزره من بين رعاة الأبل في شمال دارفور وجنوبها، كما أيده سلطان دار البرقو.1

ولم يكن رباط القلابات مستثنى من حدوث المشكلات الداخلية والأزمات التى واجهت الدولة المهدية قبل حدوث أزمة بني شنقول، حيث شهد رباط القلابات أزمة الشكرية والضباينة؛ حيث تم في عهد الزاكي طمل إخضاع هاتين القبيلتين إخضاعاً تاماً، أو يمكن القول إنهما قبلتا حكم الخليفة وعامله الزاكي طمل بعد أن تبين لزعمائهما أنّ مقاومة الدولة لم تأت إلا بالخراب والدمار والتشتت، بل إنّ المقاومة قد جرت على أفراد القبيلة عنتاً في الحياة وضيقاً بها، حيث تفرقت قبيلة الشكرية في جميع أنحاء الرباط في القضارف وكسلا ورفاعة، وبعضها هاجر إلى الحبشة وبقي بها إلى أن ضاقت به السبل، وعمل بعضهم على مخاطبة الخليفة للعودة، يقول "القدال" في وصف حالهم بعد أن كانوا في يعيشون في عزة ومنعة، وكانوا في خير وفيرتحولوا إلى مجموعات تضرب في الأرض باحثة عن قوت يومها، وصارت أرضهم مأوى للجيوش التي اتخذت منها معسكراً لجيوش المهدية، بل وصل الأمر بأحد قادتها وهو علي عوض الكريم أبوسن مكاتبة الخليفة راجياً منه السماح له بارسال كميات محدودة من الذرة إلى أهله في كسلا بعد أن مات بعضهم بالجوع . 2

ونجد أنّ جميع ما تم من إخماد لفتن وثورات انتصرت فيها الدولة المهدية كانت مدفوعة بتأييد من الحضرة النبوية التي تعد أحد مصادر التشريع في الدولة المهدية، حدثت لخليفة المهدي أوردها إسماعيل الكردفاني في طرازه المنقوش حيث قال نقلاً عن منشور للخليفة"" أنه حصلت لى حضرة نبوية مبشرة، فقد حضر لي سيد الوجود صلى الله عليه وسلم ومعه المهدي والخضر عليهما السلام وأخبرني بأنّ كافة الإجراءات التي صدرت مني كقتل صالح الكباشي وولد ود أبروف ودارفور وما فعلته مع الشكرية والبطاحين وما أجريته بالبقعة وغيرها فهو صواب"" عليه أوجد الخليفة لنفسه ولعماله المبرر لسحق الثوار والمحاربين للدولة.3

1 موسى المبارك الحسن، تاريخ دارفور السياسي، دار جامعة الخرطوم للطباعة والنشر، 1970م ص 92
2 محمد سعيد القدال، المهدية والحبشة، جامعة الخرطوم دار التأليف والنشر والترجمة،1073م ص127
3 اسماعيل ابن عبد القادر الكردفاني ، الطراز المنقوش ببشرى قتل يوحنا ملك الحبوش، تحقيق أبوسليم ، القدال، شعبة أبحاث السودان جامعة الخرطوم ، 1972م ص 118

وبعد واقعة القلابات أحس الزاكي طمل بالاطمئنان من جهة الحبش؛ فعمل على ترتيب أوضاع رباطه الداخلي وتصفيته من الخونة والمارقين على سلطان الدولة، وتأمين قوت الأنصار، ومن ضمن ذلك كان الثورة في بني شنقول، ولكن قبل أن يتجه إليها رأى أن يقوم بحملات على الجبال المجاورة بغرض إزالة ضرر الأنصار، إذ إنّ تلك الجبال بها صنوف من معاش الناس. وهكذ تحول الجهاد إلى حملات خاطفة بغرض توفير الغذاء، وكذلك بهدف إخضاع المناطق المجاورة لرباط القلابات، وقد غرقت في الفوضى نتيجة لمعركة القلابات ضد الأحباش، وكانت أولى الحملات بقيادة عمر محمد الشيخ وإبراهيم الدفيعة إلى جبل غورة، وتمكنت هذه الحملة من ضرب فلول الأحباش في المنطقة من التكارير والحمدة، بل توغلت هذه الحملة إلى داخل الحبشة وعادت بغنائم كثيرة .1

وكانت الحملة الثانية بقيادة فرج الله رجب وصحبه حوالي أربعة آلاف مجاهد إلى جهات أوسا والجانتولة وديم حكومة وجبل ورغي، بل وصلت حتى غبتة وعادت إلى القلابات يصحبها حوالي سبعمئة سبعة وخمسون من الجبرتة الذين آمنوا بالمهدية وتعاليمها برفقة ألف وثلاثمئة وخمسة عشر من عوائلهم، وأرسل الزاكي طمل الحملة الثالثة بقيادة عبد الله إبراهيم وحمدين حبيب الله على رأس أربعة آلاف ومئتان مجاهد إلى جهات غبتة للمرة الثانية، وكانت تقطنها في ذلك الوقت مجموعات من التكارير والجبرتة، وربما كان الهدف الرئيس من هذه الحملة هو القضاء على تمرد عجيل الحمراني إذ كان محاصراً في تلك المنطقة بمياه الأمطار والأودية الممتلئة، وكذلك من أهدافها اغتنام الفرصة في الأحباش وهم في حالة من الزلزلة والغفلة، وكذلك يمكن أن تسهم هذه الحملات في فك الضائقة المعيشية في رباط القلابات، وكانت آخر تلك الحملات قبل التصدي لثورة بني شنقول إلى الجبال الصعيدية بقيادة عبد الرسول عمر، هكذا عبر الحملات الخاطفة استطاع الزاكي طمل حل مشكلة نقص الغذاء في رباط القلابات وتصفيتها من جيوب الأحباش لتفرغ بعدها لتأديب ومحاسبة العصاة في بنى شنقول.2

الملامح العامة لإقليم بني شنقول.

يُعد تاريخ منطقة بني شنقول قبل القرن التاسع الميلادي فقيراً نظراً لشح المعلومات مقارنة بالمناطق المجاورة، ولعل ابن حوقل النصيبي هو أول من ذكر هذه المنطقة في كتابه "صورة الأرض" حينما تحدث عن حدود النوبة والحبشة، وذكر أنّ سكان تلك المناطق لا دين لهم أو شريعة وليس لأحد طاعة عليهم، لذا فإنّ أغلب التاريخ المكتوب عن هذه المنطقة يعود مصدره إلى التراث الشفهي لتلك الأقوام أو لكتب المستشرقين الرحالة الذين وفدوا إلى المنطقة في نهاية القرن الثامن عشر الميلادي، ولقلة المعلومات عن تلك المنطقة سميّت في أدبيات المؤرخين بالأرض الخالية (No Mans Land) أي أرض اللا إنسان، ولعل أول رحالة ذكر هذه المنطقة هو "جيمس بروس" وذلك في عام 1772م، ورغم قلة المعلومات وندرتها عن المنطقة إلا أنّ الإشاعات المرتبطة بها كانت تدور حول المعادن النفيسة بها مثل الذهب والفضة أو وفرة العبيد فيها مما جعلها محط أنظار الجميع.3

1 محمد سعيد القدال ، المرجع السابق ص 127
2 محمد سعيد القدال ، المرجع السابق ص 127
3 احمد هراد ، بني شنقول تاريخ وإدعاءات ، 19 يوليو 2021م ، wwwdr-hirad.com

تقع منطقة بَني شُنْقُول على الحدود بين السودان الحالي وإثيوبيا بل ويمتد على طول الحدود من الشمال إلى الجنوب، شرق مدينة القضارف، يَحِدُّها من الشمال والشمال الشرقي إقليم الأمهرا، ومن الشرق إقليم الأرومو ومن الجنوب منطقة أو إقليم قمبيلا، ووصف أحد أبناء بني شنقول هذه المنطقة بأنّها منطقة جبلية لا يكاد يخلو مكان فيها من جبل صغير أو كبير، فالمسافة فيها إما صاعداً جبلاً أو نازلاً من آخر، لهذا لايمكن السير فيها إلا بالبغال، وهذه الجبال صخرية سوداء اللون لا ينبت عليها أي نبات، وبها خيرات لا تحصى.1

ويتَّسِم مناخها بالإعتدال وتغطيها غاباتٌ كثيفة، كثير الأمطار حيث تبلغ مدة الخريف ثمانية أشهر وتُقدَّر أمطاره بنحو 1275 ملم. ويُقَسِّم النيل الأزرق بَني شُنْقُول إلى قسمين: القسم الشمالي به مُحافظة متكل، والقسم الجنوبي به مُحافظتي أصُوصا وخُمشا. ويُعدُّ الإقليم من أخصب مناطق القرن الأفريقي، ويحتوي على شقوق أو ما يعرف بالخيران التي أشهرها تمت أو تومات الذي يبدأ جريانه من إثيوبيا ويمر ببني شنول حتى يصب في النيل الأزرق عند فازوغلي، فضلاً عن الأنهار الدائمة كدابوس وخوخا ومياه الجبال والأمطار، مما جَعَلَ الإقليم عُرْضةً للغزو والاحتلال (قديماً وحديثاً). ويُقدَّر عدد سُكَّانها بنحو 4 ملايين نسمة.2

وكانت جبال بني شنقول هدفاً منذ القدم لهجرات متواصلة من وسط وشمال وغرب السودان بحثاً عن الذهب، حيث نال الإقليم شهرته بحسبانه مستودعاً للتنقيب عن الذهب وسوقاً رائجة لتجارة الرقيق، ويحتوي احتياطياً ضخماً من الذهب والفضة، وأجود أنواع الرخام العالميَّة، وكميات وافرة من البترول لم تُستثمرْ حتَّى الآن، وخيرات لا تعد ولا حصى، وكذلك أشتهر بأنه الحصن الحصين لكل شريد وطريد في حالات الضغط السياسي حيث صار ملاذاً للزعامات المناوئة لنظام الحكم في الدولة السنارية، ومخبئاً للفارين من مرتكبي حريق المك نمر للباشا إسماعيل بن محمد على الغازي لبلاد السودان.3

يسكن إقليم بني شنقول منذ فجر التاريخ قبائل زنجية أفريقية تشكل القوميات الخمس الرئيسة وهم (البرتا في غرب ووسط الإقليم والقمز في الشمال والشناشنة في الشرق والكوما والماو في الجنوب) ومنطقة النيل الأزرق تعد من المناطق التى ينطبق عليها التداخل السكاني؛ فمنطقة بني شنقول من المناطق التي تختلف ثقافياً ولكنهم يشتركون في أرض واحدة ونظام اقتصادي واحد.4

وربما هذا التداخل القبلي والثقافي والتباين العرقي جعل من الصعوبة الوصول إلى الأصل العرقي لإثنيات بني شنقول، ولكننا نعتمد في هذه الدراسة على رؤية أهل المنطقة لأصلهم وتاريخهم، وخاصة في ظل أنّهم يرفضون ما يُكتب عنهم ويوثق لهم من قبل الحكومة الإثيوبية؛ لذلك يعتقد الكثيرون ممن دونوا تاريخ هذه المنطقة، بأنّ البني شنقول ترجع بعض أصولهم إلى المجموعات العربية التي هاجرت إلى أقصى جنوب النيل الأزرق إلى إقليمهم الحالي ثم تزاوجوا من القبائل المحلية وعُرف جزء منهم باسم الوطاويط الذين اكتسبوا الكثير من الصفات والسمات العربية؛ فهم ليسوا عرباً ولا هم بزنوج، وقد بسطوا سلطتهم وكانت وما تزال

---

1 نوال عبد العزيز راضي، بنو شنقول في العلاقات السودانية الحبشية، دراسات في تاريخ افريقيا الحديث والمعاصر، مكتبة الزهراء،1991م، ص5

2 فيصل عوض حسن ، مَنَىْ يَسْتَعِيْدْ اَلسُّوْدَانْ بَنِيْ شُنْقُوْلْ ..! ، الحوار المتمدن-العدد: 5729 - 2017 / 12 / 16 - 21:51

3 سيف الاسلام بدوي بشير ، التداخل السكاني بين السودان وأثيوبيا، مجلة دراسات حوض النيل، المجلد الثاني العدد '4 ص 31

4 سحر محمد غراب ابراهيم، بنوشنقول، شعب على الحدود السودانية الأثيوبية، دراسة انثروبولوجية ميدانية في ثقافة النيل، القاهرة ، مكتبة جزيرة الورد ص 56،57،58

فيهم الزعامة؛ حيث منهم المكوك والحكام.1 ويعتقد (الشنقالة) بأنّهم أحفاد ملوك مملكة الفونج التي نشأت في تأسيسها الباكر في إقليم بني شنقول وكانت عاصمتها الأولى المنطقة المعروفة باسم فازوغلى نواحي المنطقة التي شهدت بناء سد النهضة، وانتشر الاسلام على يد الفونج في تلك الجهات.2

ينسب المؤرخون إقليم بني شنقول إلى مجموعات وقبائل بني شنقول التي تعد من أكبر القبائل كثافة سكانية، والذي يجدر ذكره أنّ مسمّى بني شنقول ليس الاسم الأصل للجماعة بل تمت إضافة كلمة "بني" للدلالة على الانتماء إلى العرب والمسلمين، وأنّ الاسم الأصل هو (بلا شنقول) بلغة البرتا والتي تعني (بلا– الصخرة أو الحجر) وتعني الشكل الدائري أو التمائم المستديرة التي يرتديها عناصرها حول أعناقهم، وقيل يرجع الاسم إلى صخرة مقدسة أقام السكان نواحيها، ويشمل إقليم بني شنقول تسعة وتسعين جبلاً يمثّل كل جبل منها قبيلة معينة. وورد بأنّهم المجموعات التي هاجرت إلي إثيوبيا والمنطقة الحدودية في فترة متأخرة، وكذلك يُعتقد أنّهم سودانيون فروا أمام الغزو التركي الذي سيره محمد علي باشا لجمع الذهب من جبالهم والرجال لبناء جيشه وقد مارس الأتراك أبشع الأساليب في تنفيذ أهدافهم مما دفع العديد من القبائل أن تفر أمام جيوشهم التي كانت تستعمل السلاح الناري، وعند هروبهم في اتجاه الأراضي الإثيوبية مارس فرسان بني شنقول العنف ولم يرضخوا لسلطان ملوك الأحباش.3

تتعدد قبائل بني شنقول بتعدد القبائل في السودان، وما من قبيلة في بني شنقول إلا ولها امتداداتها في إحدى مناطق السودان الشمالية أو الشرقية أو الغربية أو الوسطى، إضافة إلى امتدادات لبعض قبائل جنوب السودان، وتشمل قبائل بَنِي شُنْقُول قبيلة البرتا التي تشكل السواد الأعظم من سكان بني شنقول، وهي منتشرة في جميع مناطق ولاية النيل الأزرق وتُعرف باسم الفونج، وكثير منهم يرفضون اسم البرتا الذي ارتبط لديهم بذكريات سيئة في تاريخهم، ولايستطيع أحد أن ينكر تاريخ هذه القبيلة التي كان لها ثقافة مميزة ومسيطرة استمرت لعقود طويلة وأثرت في حياة الشعوب والقبائل التى كانت تحت سيطرتها .4

تعد مجموعات البرتا من أكبر المجموعات الحدودية التي تقطن تلك المناطق، وتتفرع إلى تسعة وتسعين جبلاً؛ حيث يبدأ اسم كل جبل بحرف الفاء، وينتسبون عرقياً إلى بطون القبائل النوبية منذ تاريخ قديم، بل ينتشرون في كل مناطق النيل الأزرق، وهي من القبائل المهيمنة ثقافياً، وتزاوجت مع معظم القبائل التي استوطنت جوارها؛ حيث نتج عن ذلك التصاهر ميلاد قبيلة الوطاويط أحد أفرع قبيلة البرتا. ونجد أنّ البرتا قد أسسوا قراهم في وسط الجبال والتلال خوفاً من غارات جلب الرقيق، التى تقوم بها الحكومة التركية المصرية الغازية بحثاً عن الذهب والرجال؛ حيث توغل جيشها حتى فازوغلى، وقد قام ببناء قلعة في منطقة فامكا أعلى المجرى الضيق للنيل الأزرق.5 وقد وفرت هذه المناطق الصخرية حماية طبيعية لهم من الهجمات، ونتيجة

1 البرتا أرض الذهب و موسيقى الروح، رحلة ميدانية منشوره على جريدة البيان الامارات ، 13 مارس 2013م ص 5
2 حامد فتحي ، حوار مع زعيم حركة تحرير بني شنقول، يوسف حامد ناصر العجمي، مجلةحفريات .مصر،11/1 ص 1
3 . البرتا أرض الذهب و موسيقى الروح، رحلة ميدانية منشوره على جريدة البيان الامارات ، 13 مارس 2013م ص 5
4 سحر محمد غراب ابراهيم، بنوشنقول، شعب على الحدود السودانية الأثيوبية، دراسة انثروبولوجية ميدانية في ثقافة النيل، القاهرة ، مكتبة جزيرة الورد ص 21
5 السير جيمس روبرتسون، السودان من الحكم البريطاني المباشر إلى فجر الاستقلال، دار الجيل بيروت، 1996م ص 103

لهذه التضاريس القاسية فقد بنيت المنازل ومخازن الحبوب مرتكزة على الأعمدة الصخرية. فقد قال السير "روبرت" بأنّ الأهالى في هذه المرتفعات قد صنعوا لأنفسهم أمبرطوريات صغيرة في أعالي الجبال.1

أما القبيلة الثانية من حيث العدد فهي قبيلة القمز، وقد انقسمت إلى قسمين ، يقع القسم الأول الأكبر منها في إقليم بني شنقول، والقسم الثاني يتمركز في الشريط الحدودي في شمال بني شنقول، ومحافظة كماشي وهي المحافظة التي استطاعت حركة تحرير بني شنقول لاحقا إخراجها عن سلطة وسيطرة الحكومة الإثيوبية. وكذلك ينتشرون في أغلب المناطق الشمالية وحول مدينة بآوي الواقعة شمال الإقليم وما حولها، وفي السودان ينتشرون في قرى المحل وبمبدي ألمان وكرمة، ويدين بعض أفراد هذه القبيلة ببعض الديانات الوثنية، ويعمل أفراد القبيلة رعاة للماعز والأبقار والصيد والزراعة وجمع الصمغ العربي، وأغلب أهل هذه القبيلة يمثلون بطوناً لقبائل السودان، إضافة إلى العديد من القبائل الأخرى مثل: الشناشا، وقبيلتا الكوما والماو، وسُكَّان المُرتفعات الذين وَطَّنتهم الأنظمة الإثيوبيَّة لتغيير ديموغرافيا المنطقة. وهناك، قبائل الفونج والجبلاويين والجعليين والدناقلة والخناقية، ونجد أنّ شنقول نفسها تعني في اللغة الدنقلاوية النهرية القديمة (بلاد الذهب)، وكذلك هناك اليعقوباب، بجانب البديرية والركابية والشوايقة والماو الجعليين والكوما والمغاربة والشناقيط وغيرهم، وإلى الآن لا تزال أغلبية هؤلاء متمسكون بعادة (الشلوخ)؛ فهي وإن كانت مؤلمة إلا أنّها في عُرفهم أخفّ وطأة من أن يقال لهم (أحباش)"، وكذلك هناك قبيلة (الوطاويط) وهم مجموعات القبائل العربية الذين تَزَاوَجُوا مع البرتا وشَكَّلوا القبيلة المعروفة بـــ(الوطاويط) ويُدين غالبية السُكَّان بالإسلام، وبعضهم يعتنق المسيحية، وجميعهم يتحدَّثون اللُّغة العربيَّة، بجانب اللُّغات الخاصَّة بالقمز والكوما والماو والبرتا، ويعيشون جميعاً في سلامٍ اجتماعيٍ مُتفرِّد.2 ويرجع أصلهم إلى القبائل العربية التي هاجرت إلى النيل الأزرق لمنطقة بني شنقول هرباً من الغزو التركي المصري للسودان في 1821م وكذلك هرباً من حملات الدفتردار الانتقامية، وكذلك بغرض التجارة وترجع التسمية في الغالب إلى أنّهم نسبة لقانون المناطق المقفولة لاحقاً الذي كان مفروضاً على المنطقة، وكانت عناصر هذه القبيلة تتسلل دخولاً وخروجاً ليلاً، وتصاهروا مع البرتا فأصبح نسلهم هجيناً يعد الإسلام والعربية جزءاً من ثقافتهم بجانب الثقافات المحلية. 3

بناءً على ماسبق بتضح أنّ أصول الشنقالة المنحدرين من قبيلة البرتا ترجع إلى الأصل العربي من القبائل القاطنة شمال السودان مثل: القبائل النوبية ومجموعات الجعليين والدناقلة والشوايقة وغير ذلك، فهم أنفسهم يؤكدون ويروجون لانحدارهم من تلك القبائل، حيث ورد في الدراسة الميدانية لسحر محمد غراب للمنطقة بأنّك اذا سألت أي أحد عن انتمائه العرقي يؤكد على أصله البرتاوي المنحدر من قبائل شمال السودان المهاجرين إلى المنطقة المتزاوجين مع سكانها الأصليين، وقد استقروا وحكموا تلك المناطق لفترات طويلة، ونجد أنّ هذه الحقيقة أو الإدعاء العرقي قد أسس لهم لاحقاً الحق في مطلبهم بأنّ يكونوا جزءاً من السودان، كما أسلفت بأنّ الأصل هنا هو رؤية أهل المنطقة لأنفسهم، وخاصة في ظل أنّهم لا يملكون سجلاً تاريخاً

1 المرجع نفسه
2 يوسف حامد ناصر بني شنقول : القضية والأبعاد ، ص 1 ،
3 علي أحمد ابراهيم ، أضواء على تاريخ وحاضرومستقبل النيل الأزرق، مؤتمر سنار عاصمة للثقافة الإسلامية، سنار في افريقيا الماضي والحاضر، الكتاب الأول، ص 63

مكتوباً، ولا يعرفون كيفية الحفاظ على السجلات، بل لا يعرفون القراءة ولا الكتابة، وعاشوا الحياة التقليدية البسيطة التي تعتمد على ما تجود به الطبيعة. وبهذا يتضح أنّ تاريخ البرتا يعتمد على الرواية الشفهية من جيل إلى جيل، عبر روايات تاريخية قد تعرضت بالتأكيد إلى تدخلات أيدولوجية وفردية في كثير من الأحيان أضفت عليها نواحي أسطورية.

هنالك ملاحظة جديرة بالذكر وهي أنّ هذه المنطقة كانت من المناطق الحدودية مع الحبشة خلال فترة حكم الدولة المهدية في السودان، وشهدت العديد من المنازعات بين الطرفين بقصد السيطرة عليها. ويشير المؤرخ إسماعيل الكردفاني في كتابه "الطراز المنقوش" إلى مقتل الملك يوحنا ملك الحبشة، على يد القائد عامل الخليفة على تلك المنطقة الأمير الزاكي طمل، وذلك في 1306هجرية / مارس 1889م. ولاحقاً أصبحت منطقة بني شنقول ضمن اهتمامات الأمبراطور منيلك حاكم الحبشة، خاصة بعد أن تأكد وجود خام الذهب بكميات كبيرة جداً في المنطقة، وأيضاً جاء اهتمام الإمبراطور بهذه المنطقة نتيجة لموقعها الاستراتيجي المطل على منابع النيل الأزرق. وخلال التفاوض بين بريطانيا والحبشة في مرحلة ما بعد سقوط الدولة المهدية رفضت دولتا الحكم الثنائي منح الحبشة أي حقوق في بني شنقول، ولكن وافق مفاوضها هارنجتون وأبدى استعداده للوصول إلى ترتيب يرضي رغبات الإمبرطور الأثيوبي منيلك.1

وقد بدأت المفاوضات بين الجانبين في أديس أبابا فى عام 13016هجرية / 1899م، ومثل الجانب الإثيوبي الإمبراطور مينليك الثاني، بينما كان الجنرال وجون هارجنتون ممثلاً لبريطانيا، حيث أبلغت الحكومة المصرية بأنّ الحبشة تحتاج إلى تأكيد أنّ مياة بحيرة تانا لن تقع تحت سيطرة أية شركة خاصة، وسيكون من الضروري أن تقدم له تنازلات معقولة من الأراضي؛ حيث جرى الإتفاق على أن تترك بني شنقول للحبشة مقابل منح الشركات البريطانية امتيازاً للتنقيب عن الذهب، والجدير بالذكر أنّ المنطقة الآن يجري عليها تنفيذ مشروع سد النهضة الإثيوبي؛ حيث يتراوح بُعد السد عن محطة الديم التي تمثل نقطة عبور النيل الأزرق إلى الحدود السودانية حوالى 12 الى 15 في المئة.2

أسباب معارضة أهالي بني شنقول لحكم الخليفة عبدالله التعايشي ودوافعها:

تعرضت الدولة المهدية خلال عهد خليفة الإمام المهدي الخليفة عبد الله بن السيد محمد إلى العديد من الأزمات الداخلية المتمثلة في الثورات والاحتجاجات ذات الطابع القبلي والمناطقي أو الجهوي، ومن ضمن تلك الثورات كانت احتجاجات أهالي بني شنقول في تخوم عمالة أو رباط القلابات التي كان عاملاً عليها الأمير الزاكي طمل، وكانت الأوامر الصادرة من خليفة المهدية قد قضت بضم منطقة بني شنقول تخوم هذه العمالة لها، ويمكن القول إنّ هذه الثورة كانت عبارة عن تحالف قبلي ضم قبائل البرتا والوطاويط والكثير من المكونات الاجتماعية التى تم ذكرها في هذه المنطقة، وقد برز قادتها من بعض القبائل المحسوبة على المناطق النيلية، وافتقدت هذه الثورة المطالب السياسية أو البرنامج السياسي الذي يصنفها أو يضعها في خانة

1 يوسف حامد ناصر بني شنقول : القضية والأبعاد ، ص 1 ،
2 فيصل عبد الرحمن على طه، القيمة الاستدلالية للتاريخ والخرائط في نزاعات السيادة على الإقليم ، نشر سودانتربيون ص 1

الثورة وفقاً لتعاريفها وأنموذجها، فهي كانت حالة من العصيان المسلح ضد الدولة وإن افتقدت البرنامج السياسي.

وبدأت احتجاجات أهل المنطقة ومعارضة حكم الخليفة عندما حاول هذا الأخير نزع سلاح القبائل المشكوك في ولائها للدولة المهدية، ويعتقد الكثيرون من المؤرخين أنّ مناطق بني شنقول تُعد ضمن المناطق المشكوك في ولائها للدولة المهدية، بالرغم من وجود المجموعات القبلية التي تُعرف باسم (التكارير)، التي هاجرت إلى الشرق بحثاً، أو بنية أداء فريضة الحج. وكان محمد ود أرباب من تكارير القلابات قد هاجر إلى المهدي وبايعه فاستعمله المهدي خلفاً للحسين عبد الواحد على أمل أن يكسب ولاء أهله من التكارير. 1 وبالرغم من هذه العلاقة بين المهدي والتكارير إلا أنّنا نلاحظ أنّ للزاكي طمل رأياً آخر إذ إنّه يراهم غير مخلصين في إيمانهم بالمهدية، ومتذبذبين في ولائهم، وكذلك وصفهم بأنّهم لا يميّزون بالإسلام إلا من حيث نطق الشهادتين، ويؤكد أنّهم قاموا بكثير من الأعمال العدائية ضد الدولة المهدية، حيث يعتقد أنّهم قاموا بحرق معسكر الأنصار أثناء المعركة مع الأحباش مما خلق جواً من الهلع ساعد الحبش على اختراق جيوش المهدية، وكان ذلك في مرحلة لاحقة لقيام ثورة بني شنقول. عموماً يشير الزاكي طمل إلى أنّ تاريخ التكارير يؤكد رفضهم للنظام الجديد، ويغلّبون مصالحهم التجارية على نزعتهم الوطنية قبل كل شيئ، ويقول بروفيسر القدال في ذلك إنّ تلك الوقائع والأحداث تؤكد على جوانب الضعف التى اكتنفت روح المهدية في المنطقة .2

ويؤكد خليفة المهدي في إحدى وثائقه التاريخية التي تعرف باسم (إرشاد السيادة لعبدها)، التي أرسلها إلى حكام الأقاليم المختلفة، على ضرورة حفظ الأمن وجمع السلاح والذخيرة، وذلك في إطار بسط هيبة الدولة وكسر شوكة المحتجين والمجاهرين بالعصيان، وقال الخليفة في منشور يحمل هذه الأوامر (إنّ أمر السلاح والجبخانة من مهمات أمور الدين وآيات الجهاد، فقد صدرت الأوامر الشريفة وقد حصل التحرير لكافة الجهات التابعة للسرية بالبحث عن السلاح الناري والجبخانة كائناً ما كان، وعدم التفريط حتى لو لبندقية واحدة أوبارود واحد، وإن جزاء من يخفي سلاحاً وإن قل التغنيم إن شاء الله، فضلاً عن ذلك فقد عينا من يدوروا بالحدود الموالية لجهة أعداء الله مثل بنى شنقول وقدبي وتبارك الله والتومات، وقد عينا عمر الياس بآخر حدود عمالة الرهد والدندر وحذرنا عامل رفاعة كونه بالطريق لعدم مرور السلاح).3

وكذلك من الأسباب التي عجلت في الخلاف بين الخليفة عبدالله وأهالي بني شنقول هي الاتصالات التي كان يجريها حكام الأحباش مع مجموعات الأهالي المعارضين لحكم الخليفة، وفي ذلك كشفت تحريات الدولة عن حملات استقطاب وتحريض ضد الدولة المهدية يقوم بها الراس يانفوا رأس الضلال الحبشي كما وصفه خليفة المهدي، وأنّ هذه الأخبار (مبلوغة) على السنة النقادية الذين ينشطون في تجارة الحدود بين رباط القلابات والمدن الحبشية، وكانت كثيراً ما تتوقف هذه التجارة بسبب أوامر الخليفة الذى سجل عدم ارتياح بهذه الفئة، وقد جرى توقيف نشاطهم خلال عهد الأمير حمدان أبوعنجة، ولكن استطاع الأمير الزاكي طمل إعادة نشاط

1 عمر عبد الرازق النقر، مشيخة القلابات، مجلة دراسات افريقية، المركز الإسلامي الإفريقي . الخرطوم، العدد الرابع 1989م ص 85

2 محمد سعيد القدال ، المهدية والحبشة ، دار التأليف والترجمة والنشر جامعة الخرطوم، 1973م ،ص 124

3 مهدية / 4 / 1 / 2/ بتاريخ/ 4 شوال 1307 هجرية ص 1

النقادية التجاري مبرراً ذلك بحاجة العمالة الماسة للعيوش والذرة، وأنّ هناك إمكانية لتوظيف هذه العناصر لنقل مجريات وتطورات الأوضاع على الجانب الحبشي، وقال الزاكي طمل لخليفة المهدي (بأنهم يقفوا على قدم التيقظ ليلاً ونهاراً يترقبوا الأخبار الحقيقية ولوعلمنا أقل اخبارية فلابد من وقوفنا على قدم الإستواء ونعد سيدنا بالفزع).1 وأخيراً من الأسباب التي دفعت الطرفين إلى خيار الصراع هو فرض الجزية على أهالي مناطق بني شنقول، خصوصاً في الأعوام التي تشهد ضعفاً في إنتاج المحاصيل الزراعية، محاولة تأديبية قبل تحريك الجيوش نحوهم، وهذا الإجراء رأته المجموعات المحلية إهانة بالغة لهم، وذلك بحسبان أنّ الجزية في الإسلام كما هو معلوم تفرض على غير المسلمين، وهو ما أدى إلى امتناع كثير من الزعماء والمشايخ المحليين عن دفع الجزية، وكان ذلك بمثابة إعلان للحرب ضد الدولة التى قادها عبد الرحمن الغوري، والخوجلي الحسن ومحمد ود محمود، حيث نجح الغوري في إقامة حلف ثلاثي لإدارة المنطقة.2

وبناءً على تلك الأسباب والدوافع سالفة الذكر، أصدر الخليفة الأوامر باضافة بني شنقول وتوابعها لسرية رباط القلابات، وتقديم العون والنجدة لعاملها الحبيب خليل الخذامي الذي وجد مضايقة من أعداء الله (العصاة) بتلك الجبال، وتم تحرير منشور للحبيب عبد الرسول عمر ضمن من معه من أنصار بالسرية بالعودة إلى جبال بني شنقول، وكذلك تم تحرير محرر للأحباب خليل الخذامي وإبراهيم الفطاوي بالانضمام إليه طبقة الأوامر الشريفة.3

الأمير الزاكي طمل ودوره في محاسبة العصاة في إقليم بني شنقول:-

ولد الزاكي طمل في منطقة رهيد البردي فى غرب السودان في إقليم دارفور، ضمن عشيرة المنضلة، وهي عشيرة خلاصية معظم أفرادها جرى عليهم الرّق أو من الرقيق السابقين، وكان أفراد قبيلة التعايشة يحتضنون أفراد هذه العشيرة وسطهم ويتزاوجون معهم، وشب وترعرع في دار محمد بن السيد والد الخليفة عبد الله خليفة المهدى، حيث كان في طفولته يرعى أبقارهم؛ فقد تربى على تحمل مشاق الحياة البدوية ومغرماً بصيد الحيوانات البرية مثل: النعام والزراف والأفيال حتى أصبح صياداً حاذقاً، ومن صفاته الجسمانية التي وردت في وصفه أنّه كان طويل القامة، نحيف الجسم، متناسق الأعضاء، أسمر اللون مائلاً إلى السواد، عالي الجبين، أقنى الأنف، طويل العنق، ذا شاربين طويلين، ولحية خفيفة، جميل الطلعة، يعلو وجهه شئ من الصرامة والأنفة، وتميزت شخصيته بالشدة والصرامة وشدة الغضب، كان شجاعاً في الملمات، ويجيد اغتنام الفرص من هفوات الأعداء، له طاقة هائلة ونشاط متدفق، أُخذ عليه ميله إلى التفاخر والتباهي الذى جلب له حسد الحاسدين.4

يقول إسماعيل الكردفاني، بعد أن استأثر الله بعبده حمدان أبوعنجة ونعاه ناعي الفضل والإحسان، ووصول النعي إلى خليفة المهدي عليه السلام، الذي استرجع لمصابه، وذاكر الناس ووعظهم بمواعظ بليغة حتى اطمأنت النفوس ورضيت بقضاء الملك القدوس، حيث كان الأنصار في رباط القلابات قد كتبوا إلى ولي

1 مهدية / 4 / 1 / 2/ بتاريخ 10 ذو القعده 1307 هجرية، ص 1
2 أحمد هراد، المرجع السابق ، ص 5
3 المصدر نفسه
4 أمينة فيفيان ياجي ، رجال حول المهدي، امدرمان، 1989م ، ص 83

أمر الجميع خليفة المهدي عليه السلام، وأصبحوا بذلك مترقبين ما يصدر عنه في توليه من يكون به قوام الدين وإصلاح العباد بذلك الثغر.1

كان من المتوقع أن يخلف حمدان أبوعنجة رفيق دربه وجهاده ومسيرته الطويلة قبل وبعد قيام الثورة المهدية، بل صرح حمدان في حياته في إحدى مجالس الخليفة بذلك، عندما سأله خليفة المهدي عن أمر خلافته، فقد أشار صراحة إلى الزاكي طمل متجاهلاً وكيله أحمد على، وعندما أبدى الخليفة اعتراضاً على اختيار حمدان بسبب صغر سن الزاكي طمل، قال له حمدان أبوعنجة: "حقيقة إنّه صغير يا خليفة المهدي غير أنّه شجاع وجسور، خبير بالشؤون العسكرية وعندما يعد خطة فإنه ينفذها وحده وباتقان تام دون أن يشرك أحداً معه، وهو متمرس بفنون الكر والفر ولا يوجد بين أمرائك من هو أكفأ منه لملء هذا المنصب؛ لأنّه يتمتع بكل صفات القائد؛ فلقد خبرته في جميع المعارك التى خضناها؛ ولذا فأنا استأذنك ياخليفة المهدي أن يخلفني الزاكي طمل على قيادة الجيوش عندما يحين أجلي، وسيكون النصر إن شاء الله حليفاً له.2

كان من عادات الخليفة إرسال وفود من أمدرمان لحل المشكلات التي تحدث في العمالات البعيدة والقريبة، وذلك لملء الفراغ السياسي والإداري، وعندما حدثت وفاة القائد حمدان أبوعنجة أرسل الخليفة وفداً مكوناً من قاضي الإسلام أحمد على ومعه بعض الأصحاب أهل الصدق والديانة والأمانة ومعهم الأوامر الكريمة بولاية الزاكي طمل على ذلك الجيش الموجود بثغر القلابات وتفويض أمر الجيش المذكور إليه، وأمره بتقوى الله واستوصاه بمن معه من المسلمين خيراً، وغير ذلك من المواعظ البليغة، فخرجوا مسرعين إلى أن وصلوا رباط القلابات، وفي الحال سلموا الأوامر التي فيها ولاية الزاكي طمل، فبايعه جميع الجيش بقبول وانشراح، واتفقت كلمتهم وانعقدت نيتهم على متابعة الزاكي طمل والقيام معه لنصرة الدين.3

أما فيما يختص بانتشار الدعوة المهدية في منطقة بني شنقول وسط جماعات البرتا، فقد أثارت الثورة المهدية ونجاحاتها العسكرية – التى انتهت باكتساح أغلب الأراضي السودانية، وقُتل الحاكم العام الجنرال غردون باشا – موجة من التعاطف والحماس في صفوف مواطني قومية البرتا، ولم يجد الأنصار أية صعوبة في بسط نفوذهم فيها، بل وأكثر من ذلك كانت منطقة بني شنقول مسرحاً حربياً لكثير من معارك الدولة المهدية والحبشية؛ حيث كان أشهرها معركة جتي ديلي التى انتصر فيها الأحباش على قوات المهدية التى رأت أنّ هناك مساعدات قدمت من الشناقلة إلى المعتدي الحبشي، مما فتح لهم باب العداوة مع الدولة المهدية ممثلة في سلطتها الإقليمية في رباط القلابات الذي يقوده الأمير الزاكي طمل.

وقد وصف الزاكي طمل أحداث تلك الاحتجاجات والمعارضة المحلية في إقليم مناطق بني شنقول، في محرّر صادر إلى خليفة المهدي حمل جميع التفاصيل الدقيقة لمراحل تأديب العصاة في تلك المناطق الحدودية حيث قال: (إنّ أهالي بني شنقول بأكملها شديدوا العداوة والمجاهرة، يريدون بذلك العصيان إطفاء نور الله، وإنهم وريسهم عبد الرحمن خوجلي الملقب باسم (ثور القوري) وأعوانه محمود حميدي وخوجلي ولد الحسن،

1 إسماعيل بن عبد القادر الكردفانى، الطراز المنقوش ببشري قتل يوحنا ملك الحبوش، تحقيق محمد ابراهيم أبوسليم ومحمد سعيد القدال، شعبة أبحاث السودان، كلية الآداب جامعة الخرطوم، كراسه رقم 80 1972م ، ص87

2 فتح الرحمن محمد الامين العراقي، دور القادة المهدويين في الجهاد والبناء (ملامح من سيرة ومسيرة الزاكي طمل المهدوية) مقدمة لمؤتمر الدراسات المهدوية الثالث، جامعة الامام المهدي 2018م ، ص1

3 إسماعيل بن عبد القادر الكردفانى، المصدر السابق، ص89

فمن شدة ماهم منطوين عليه من العصيان والتأهب لمصادمة الأنصار لغاية ما منعوا الأنصار بتلك المناطق القوت الضروري، بل ومشاغلتهم للأنصار بالمحاربة، حيث سول لهم الشيطان من الإعتماد على عددهم واسلحتهم العارية من حقوق الله، فقد قاموا من زمن طويل بالاستعداد وذلك باخفاء كامل امتعتهم واشغالهم ومامملكت يدهم وكافة حريماتهم واولادهم وسائر عوالهم بالجهات، مثل الأوكار والخيران والأشجار، ولم ينتظر لمواجهة الأنصار إلا الرجال المستعدين للمحاربة فقط، فلم يبلغوا شئ من مقاصدهم الكاسدة، وفي سائر الوقفيات (المعارك) معهم لم يحصل الأنصار على شئ فقد وجدوا بيوتهم خالية وقد أحرقها الأنصار بالنار) وقد تم القبض لاحقاً كما سيرد في ثنايا البحث على أحد قادة هذا العصيان وهو محمود حميدي من أجل الوقوف على مخباء المحاربين ومتعلقاتهم النفيسة.1

بداية الحملات التأديبية:

يبدو واضحاً أنّه لم تكن هناك خيارات بين الطرفين سوى خيار المواجهة، ومع هذا لم يلجأ الزاكي طمل في أول أمره إلى استخدام خيار القوة المسلحة، والقضاء على حالة العصيان ومعارضة حكم الخليفة، واتبع سياسة التحذير والإنذار، فقد صدرت الأوامر والإنذارات إلى أهالي بني شنقول بضروهة الالتزام بحدود الله وتجنب حرماته ولكنّه في نفس الوقت كان يجهز قواته العسكرية في رباط القلابات لخيار المواجهة المسلحة، وشرعت القيادات العسكرية في تجهيز راياتها، وتحزبوا لنصرة الدين وقطع دابر أعدائهم الملحدين من أهالي بني شنقول، وتوجهت الرايات إلى منطقة فازوغلى وتجمعوا في منطقة (كشنكروا)، وأخذوا في تحرير النصائح إلى عبد الرحمن خوجلي (ثور الغوري أو القوري أو الجوري) وأعوانه محمود حميدي وخوجلي ولد الحسن، بل امتدت دعوات النصح والإرشاد إلى جميع زعماء ومشايخ القبائل والمجموعات المحلية بمناطق بني شنقول المختلفة، وذلك بقصد الامتثال إلى أوامر خليفة المهدي بحسبانه ولي أمر الجميع، وأنّهم متى ما عادوا إلى الدين فعليهم الأمان الكافي على أنفسهم وأموالهم وعيالهم، ولكن مجرد وصول الرسل بالإنذارات إلى العصاة الذين من شدة ما هم منطوين عليه من الإنكار والإغيار فقد قاموا بقتل الرسل ومزقوا المكاتيب حيث ازدادوا عصياناً وغرهم شيطانهم بأن تجمعوا من كل فج ومكان، ولما علموا بأن جيش الأنصار مكون من أربعة أقسام قد استلهموا هذه الفكرة حيث قاموا بتنظيم أنفسهم على أربعة أقسام، وكمنوا للأنصار بالقرب من (خور نمت)، ولما بلغ الأنصار من اخبارهم اخذتهم الغيرة الإسلامية وتحركوا نحو مكامن العصاة تتقدمهم الخيول لتقصي الأخبار، ووصلت جيوش الأنصار إلى أماكن تجمع العصاة في المناطق القريبة من خور.2

وبدأت المعركة الحاسمة بين الطرفين عندما هاجم الأنصار مجموعات الأهالي العصاة في مناطقهم، حيث كانت الروح المعنوية العالية والحماسة الشديدة هي الصفة البارزة للأنصار، والذين كانوا تحت قيادة بلل الناقور وآدم دومة ومحمد تور فور، وقد استمرت المعركة لفترة زمنية قدرها ثلاث ساعات فقط، بدأت عند الساعة الثالثة بعد الظهيرة، وانتهت عند الساعة السادسة مساءً، فقد ثبت الأنصار لهم وأسقوهم كأس الردى وأوقعوا فيهم الطعن والضرب، ولم ينفلت من العصاة إلا من توارى وسط الأشجار وطلب الفرار، وقد انتهت

1 مهدية / 1 /4 /2 / بتاريخ 8 رجب 1307 هجرية ، ص1

2 مهدية / 1 /4 /2 / بتاريخ 8 رجب 1307 هجرية ، ص1

المواجهة الأولى بأنّ الله نصر الدين وفقاً لتصور الزاكي لهذه الثورة بأنّها عصيان للدين ولشرائعه وخروج على الحاكم وانكار للمهدية.1

واستمرت القيادات العسكرية للمهدية بملاحقة الزعماء والشيوخ العصاة الذين بادروا بالهروب والتواري من (خور تمت) إلى (جبل قيسان) محل ديمهم حيث قام الأنصار بحرقه بالنار ونزلوا وأقاموا فيه فرحاً بنصرة الدين. وقام القادة الثلاثة مقتفين أثر أعداء الله إلى أن وصلوا إلى حلة ثور الغوري قائد العصيان والعصاة التى يقال لها (نيبي) فوجدوه متحصناً بقعره أخشاب متينة اتخذها للمدافعة عن نفسه، ووصف الزاكي طمل في روايته هجوم الأنصار عليه قائلاً :(وماكان من الأنصار إلا وانهم قد حملوا عليه حملة الكرام) إلى أن كسروا عليه القفرة، وقتلوا معظم الرجال الذين كانوا حوله، ولكن انفلت منهم الغوري مرة أخرى حيث قاموا باقتفاء أثره إلى أن وصل بهم إلي جبل (اتري) حيث تناوشوا معه ولمّا لم يحتمل ضرب الأنصار واصل الفرار مرة أخري وقد تم تتبع أثره لمده سبع أيام إلي أن وصلوا إلى منطقة فداسي آخر حدود الإسلام، ولم يتبق من جيوش الغوري أحد حيث تفرقوا بالخيران والأودية والجبال، ولم يتبين لهم أثر أو طريق يعول عليه في اقتفاء أثر الغوري وما تبقى من جيشه، فعندها عاد الأنصار إلى جبل فداسي حيث أحرقوا جميع ما صادفوه في طريقهم.2

وبعد أن أحرق الأنصار جهات جبل فداسي تناهى إلى مسامعهم أنّ خوجلي ود الحسن أحد قادة العصيان المحاربين للأنصار موجود في حشد من العصاة في منطقة (اصوصة)، وبعد أن تم ادراكه وجدوه متحصناً في قفرة أخشاب، وخاض جنوده معركتهم مع الأنصار الذين حملوا عليهم حملة رجل واحد صائحين بالتهليل والتكبير واستطاع اقتحام تحصينات خوجلي ود الحسن في قفرته، مما جعله يباغت الأنصار بالإنفلات والهروب متوارياً عن الأنظار، وبعد أن استطاع الأنصار كسر شوكة الشرك والضلال، وشتتوا شملهم وقتلوا الغالب منهم وحرقوا منازلهم، ولكن بالرغم من تمكن بعض العصاة من الهروب والإختفاء في الخيران والجبال والأشجار والقشوش والأوكار المنتشرة في جغرافية تلك المنطقة.3

وبعد القضاء على الزعيم ود خوجلي وقواته العصاة توجه الأنصار مباشرة إلى ملاحقة الزعيم الثالث والأخير محمود حميدي المتحصن بقواته في (منطقة جبل برشوا)، وعندما استشعر وجودهم خرج بقواته لهم حيث أبتدرهم بدالمحاربة، ويقول الزاكي طمل واصفاً تلك الموقعه: (بحول الله وقوته قد انتصر عليه الأصحاب ولم يسعه إلا الهروب مولياً الدبر، ولكن الأنصار سددوا عليه المنافذ ولم يمكنوه من الفرار، حيث ضاقت عليه الأرض بما رحبت فدخل كروراً موجوداً بالقرب من أرض المعركة، وبه صارت محاصرته والتضييق عليه إلي أن وقع فى أسر الأنصار بكامل أُسرته وعدد من قواته. وبالقضاء على هذا الزعيم القبلي الأخير وقواته تمكن الأنصار من القضاء على الاحتجاجات التي انتشرت بين الأهالي في مناطق بني شنقول المختلفة. ومن الملاحظ أن وثائق المهدية التي تناولت وصف هذه الاحتجاجات في كل وقائعها (المذكورة)

1 المصدر نفسه

2 مهدية / 1 /4 /2 / بتاريخ 8 رجب 1307 هجرية ، ص1

3 مهدية / 1 /4 /2 / بتاريخ 8 رجب 1307 هجرية ، ص1

التى أرخت لهذه الحملات التأديبية أن الأنصار لم يفقد شئً سوي بعض الذين رزقهم الله الشهادة، وعدد قليل من الجرحي.1

وهذه الانتصارات الحاسمة ضد المعارضين والمناوئين لحكم الخليفة في مناطق بني شنقول، فرضت واقع جديد يعيد السيطرة الكاملة لصالح الأنصار، وفي سبيل تحقيق الأمن والاستقرار حيث اجتمعت القيادات العسكرية للحملات مع القائد عبد الرسول عمر في جوار جبل قيسان، واجتمع معهم ابراهيم الفوطاوي ومعه مجموعة من الأنصار الذين ينتمون إلى قبائل جهينة، بالإضافة للأهالي الطاعيين من الخناقية بقيادة محمد عمران مقدم الخناقية، وقد حضر بعض روؤس جبال بني شنقول طائعين، ولأمر المهدية خاضعين، ولم يزل الحبيب عبد الرسول عمر ناشراً الأمان لأهالي الجبال وتأمين من يأتيه منهم طائعاً، وقام بوضع ديم للأنصار في تلك المنطقة باعتباره متوسط البلد وبه معايش الناس، وقد عزم على جمع العيوش من أهالي الجبال لتموين الأنصار ولإغاظة الكفار، وأرسل إلى الجبال من يتقفى أثر ثور الغوري وخوجلي ود الحسن اللذان تمكنا من الفرار والإختفاء مابين الجبال والإحتماء باحد الروؤس الأحباش الذين كانوا داعمين لمثل هذه الثورات متوعدهم بالإعدام وارسال روؤسهم لخليفة المهدي في أمدرمان واراحة العباد من ضلالاتهم.2 وختم الزاكي طمل محرره لخليفة المهدي قائلاً (إن مثل هذه الواقعة ومافيها من كسر شوكة الكافرين من البشائر اللازم علينا عرضها على شريف مسامعكم وقد خاطبنا عبد الرسول عمر على حُسن صنيعه من تأمين الطائعين وردع المعترضين وادخال عباد الله الإسلام والإنتظام في سلك أصحاب المهدي عليه السلام).3

وبعد سقوط الدولة المهدية في يد القوات الغازية تحت مسمى استعادة السودان عقب موقعة كرري تدخلت اثيوبيا وقامت باحتلال منطقة فازوغلي وتخومها حتى الرصيرص، ولكن ضغط الانجليز بقيادة الميجور بارسونز الأمبراطور منليك الثاني بقصد الخروج من تلك المناطق السودانية الحدودية، وفي أول الأمر رفض منليك الخروج، وفي نهاية الأمر اضطر الطرفان إلى الدخول في مفاوضات طويلة وشاقة انتهت باتفاق (معاهدة أديس أبابا) 1319ه/1902م. وبموجبه يحتفظ الامبرطور منليك الثاني بإقليم بني شنقول الذي تقطنه الأغلبية المسلمة من سكانه، وفي مقابل ذلك أن يسحب منليك قواته إلى المنطقة التي تقع جنوب فازوغلي والرصيرص، والتي تعتبر المدخل الشرقي للنيل الأزرق. ومنذ ذلك التاريخ أصبحت مجموعات بني شنقول جزءاً من القوميات والمجموعات الإثيوبية، ومع هذا تشير المصادر التاريخية إلى أن سكان بني شنقول لم يجدُ الترحيب الكافي من قبل السلطات الامبرطورية وقتها، وبل أكثر من ذلك تم اعتبارهم مواطنين من الدرجة الثانية، ومن الملاحظ أن قبائل ومجموعات بني شنقول ترفض الإنتماء الإثيوبي أو الحبشي، وتعتبر ذلك الوصف بمثابة الإساءة إساءة لها ولتاريخها.4

ختاماً: نجح الأمير الزاكي طمل عامل خليفة المهدي على رباط القلابات في الدفاع عن الدولة المهدية ضد الأخطار الخارجية المتمثلة في انتصاراته على الأحباش وقتل الرأس يوحنا، وكذلك نجح في إخماد الثورات

1. تحتاج إلى توثيق الوثيقة
2 مهدية / 1 /4 /2 / بتاريخ 8 رجب 1307 هجرية ، ص1
3 المصدر نفسه
ا مهدية / 1 /4 /2 / بتاريخ 8 رجب 1307 هجرية ، ص1

الداخلية في جنوب السودان، وفي تأديب العصاة في منطقة جبال بنى شنقول كما أوضحت هذه الدراسة، ومن أهم النتائج التي توصل إليها الباحث: إنّ الاحتجاجات التي قادتها المجموعات المحلية في إقليم بني شنقول جاءت تعبيراً لمعارضة حكم الخليفة عبدالله التعايشي، وتشكلت هذه المعارضة المحلية نتيجة لتحالف قبلي عريض تجمّع نتيجة للدفاع عن مصالحه السياسية والاقتصادية، ويمكن أن نصف هذه الاحتجاجات المسلحة تمرداً على سلطة الدولة ورافضاً لسياساتها، التي قد تتعارض في كثير من الأحيان مع مصالح أهل المنطقة. وأيضاً هذه المعارضة المحلية القبلية في منطقة بني شنقول تعكس لنا درجة الوعي السياسي الكبير الذي يتمتع به سكان المنطقة، وربما جاء هذا الوعي السياسي المبكر نتاجاً لاحتكاكهم بأنظمة الحكم التركي المصري، التي أثرت بصورة مباشرة في درجة وعيهم السياسي وإدارة شؤونهم الحياتية، وليس كما ورد في محرّر الزاكي طمل بأنّها حرب ضد الإسلام وانتهاك لحرماته. وأيضاً استخدمت الدولة المهدية في عهد الخليفة المبررات السياسية والدينية للقضاء على المعارضين لحكم الخليفة في مناطق أقليم بني شنقول. وأخيراً نجح الحل الأمني العسكري الذي انتهجه الزاكي طمل نجح في إخماد الاحتجاجات والمعارضة المحلية، وفرض سيطرته على ذلك الإقليم الحدودي حتى نهاية فترة حكم المهدية. وبناءً على هذه النتائج توصي الدراسة بضرورة إجراء المزيد من الدراسات التاريخية والاجتماعية والإنثربولوجية والسياسية التي تعكس الدوافع والأسباب التي فرضت ضرورة معارضة حكم الخليفة في تلك المناطق الحدودية مع الحبشة، خاصة أنّ الباحث في هذه الدراسة قد ركز على وثيقة واحدة وهي محررات الأمير الزاكي طمل المتداولة بينه وبين خليفة المهدي. وعليه نرى أنّ عملية التقييم النهائي والكامل لهذه المعارضة والاحتجاجات المسلحة التي كانت ضد حكم الخليفة في مناطق بني شنقول، تحتاج إلى دراسة الإفادات الشفاهية التي تمثّل ذاكرة من عايشوا تلك الأحداث التاريخية.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر الأولية:

(أرشيف المهدية – دار الوثائق القومية الخرطوم)

1 . مهدية / 4 / 1 / 2/ بتاريخ/ 4 شوال 1307 هجرية.

2 . مهدية / 4 / 1 / 2/ بتاريخ 10 ذوالقعده 1307 هجرية.

3 . مهدية / 1 /4 /2 / بتاريخ 8 رجب 1307 هجرية.

4 . مهدية / 1 /4 /2 / بتاريخ 8 رجب 1307 هجرية .

5 . مهدية / 1 /4 /2 / بتاريخ 8 رجب 1307 هجرية .

ثانياً: المراجع العربية:

1. إسماعيل بن عبد القادر الكردفانى، الطراز المنقوش ببشري قتل يوحنا ملك الحبوش، تحقيق محمد ابراهيم أبوسليم ومحمد سعيد القدال، شعبة أبحاث السودان، كلية الآداب جامعة الخرطوم، كراسه رقم 80 1972م.
2. أحمد هراد، بني شنقول تاريخ وادعاءات، 19 يوليو 2021م ، wwwdr-hirad.com
3. أمينة فيفيان ياجي ، رجال حول المهدي، أمدرمان، 1989م .
4. السير جيمس روبرتسون، السودان من الحكم البريطاني المباشر إلى فجر الاستقلال، دار الجيل بيروت، 1996م.
5. فتح الرحمن محمد الأمين العراقي، دور القادة المهدويين في الجهاد والبناء ملامح من سيرة ومسيرة الزاكي طمل المهدوية) ورقة علمية مقدمة لمؤتمر الدراسات المهدوية الثالث، جامعة الإمام المهدي2018م.
6. سحر محمد غراب إبراهيم، بنوشنقول، شعب على الحدود السودانية الإثيوبية، دراسة إنثروبولوجية ميدانية في ثقافة النيل، القاهرة ، مكتبة جزيرة الورد.
7. سيف الإسلام بدوي بشير ، التداخل السكاني بين السودان وإثيوبيا، مجلة دراسات حوض النيل، المجلد الثاني العدد '4
8. عمر عبد الرازق النقر، مشيخة القلابات، مجلة دراسات أفريقية، المركز الإسلامي الأفريقي. الخرطوم، العدد الرابع 1989م.
9. علي أحمد إبراهيم، أضواء على تاريخ وحاضرومستقبل النيل الأزرق، مؤتمر سنار عاصمة للثقافة الإسلامية، سنار في أفريقيا الماضي والحاضر، الكتاب الأول.
10. محمد سعيد القدال، المهدية والحبشة، دارالتأليف والترجمة والنشر جامعة الخرطوم، 1973م.
11. نوال عبد العزيز راضي، بنو شنقول في العلاقات السودانية الحبشية، دراسات في تاريخ أفريقيا الحديث والمعاصر، مكتبة الزهراء،1991م.